الشيخ محمد خير الدين

مسار وافكار

1993-1902

Sheikh Mohammed Khairuddin Path and ideas1902-1993

د. مقدم رشيد
mekademrachid17@gmail.com

جامعة زيان عاشور الجلفة

تاريخ الاستلام: 2019/05/08   تاريخ القبول للنشر: 2019/05/22

الملخص:

تعالج هذه الدراسة موضوعا مهما من موضوعات التراجم في تاريخ الجزائر المعاصرة لكونه يتناول بالبحث والتّنقيب جهود أحد الأقطاب البارزين في مسار الحركة الإصلاحية الجزائرية ألا وهي شخصية الشيخ محمد خير الدين .

ومن الحقائق التي يقف عندها جلّ المؤرخين، هي أن دراسة التراجم أو سير القيادات والشخصيات في أي بلد من البلدان يعد عملا ضروريا، فقد يرى فيه البعض عملا وطنيا خالصا لأن استجلاء مسيرة الزعماء لا يتوقف عند حد الدراسة فحسب فقد يصل إلى حد الافتخار والاعتزاز بهؤلاء وجعلهم قدوة تقتدي بها باقي فئات المجتمع.

إن دراسة مثل هذه الشخصية في جزائر المليون ونصف المليون شهيد، قد لا تظهر في نظر البعض ذات أهمية بالغة في تراجم القيادات الهائلة التي عرفتها البلاد خلال القرن العشرين ،ولكن بالوقوف عند جلائل أعمالها الوطنية المتعددة فإن الشخصية محمد خير الدين تأتي في مقدمة الرواد الذين حملوا رسالة العلم والتربية و الدفاع عن الهوية الوطنية.

الكلمات المفتاحية: العلم، الاصلاح، الفكر، النهضة، التربية.

Abstract:

This study deals with an important subject of translations in the history of modern Algeria because it deals with the research and exploration efforts of one of the prominent poles in the course of the Algerian reform movement, namely the personality of Sheikh Mohammed Khairuddin.

One of the facts of most historians is that the study of translations or the conduct of leaders and personalities in any country is a necessary work, some may see some national work purely because the clarification of the march of leaders not only stops at the end of the study may reach the level of pride and pride in these and make them An example to be followed by the rest of society.

The study of such a character in the islands of one and a half million martyrs may not appear in the eyes of some of the most important in the translations of the great leaders that the country has known during the twentieth century, but standing by the waves of their national work multiple personality Mohammed Khairuddin comes at the forefront of pioneers who took The message of science, education and defense of national identity.

Keywords: science, reform, thought, renaissance, education.

مقدمة:

تعالج هذه الدراسة موضوعا مهما من موضوعات التراجم في تاريخ الجزائر المعاصرة لكونه يتناول بالبحث والّتنقيب جهود أحد الأقطاب البارزين في مسار الحركة الإصلاحية الجزائرية ألا وهي شخصية الشيخ محمد خير الدين .

ومن الحقائق التي يقف عندها جلّ المؤرخين، هي أن دراسة التراجم أو سير القيادات و الشخصيات في أي بلد من البلدان يعد عملا ضروريا، فقد يرى فيه البعض عملا وطنيا خالصا لأن استجلاء مسيرة الزعماء لا يتوقف عند حد الدراسة فحسب فقد يصل إلى حد الافتخار و الاعتزاز بهؤلاء وجعلهم قدوة تقتدي بها باقي فئات المجتمع

ان دراسة مثل هذه الشخصية في جزائر المليون ونصف المليون شهيد، قد لا تظهر في نظر البعض ذات أهمية بالغة في تراجم القيادات الهائلة التي عرفتها البلاد خلال القرن العشرين

،ولكن بالوقوف عند جلائل أعمالها الوطنية المتعددة فإن الشخصية محمد خير الدين تأتي في مقدمة الرواد الذين حملوا رسالة العلم والتربية و الدفاع عن الهوية الوطنية.

وتتمثل أهمية هذا البحث في إبراز علم من أعلام الإصلاح في جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، والحق أن الشيخ خير الدين قائد من قادة التربية و التعليم إلى جانب الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الابراهيمي وغيرهما من الذين ساهموا بقسط وافر في الحركة الوطنية الجزائرية عموما وكانوا من أعظم ما أنجبت الجزائر.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة وإبراز حياة هذا الرجل ودوره الفعال في الحركة الإصلاحية خاصة والحركة الوطنية بشكل عام في مواجهة الاستعمار الاستيطاني ،وهي المهمة التي حملتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على عاتقها، كما يهدف إلى إبراز دوره في الثورة التحريرية المظفرة ، ومشاركته في الحياة السياسية الجزائرية بعد الاستقلال.

1.حياته و أثاره:

الشيخ محمد خير الدين مصلح جزائري، وهو من بين الرجال الذين ساهموا في إرساء الحركة الإصلاحية في الجزائر، و تميز بنضاله الوطني في الدفاع عن الهوية الجزائرية بمختلف الوسائل، عن طريق تأسيس المدارس للتعليم والوعظ والإرشاد في المساجد والمساهمة بالمقالات المختلفة في الصحافة الإصلاحية، ومشاركته في الثورة التحريرية، وهذا كله في سبيل الدفاع عن الوطن ومقاومة المستعمر الأجنبي.

ولد محمد خير الدين[1] في شهر ديسمبر سنة 1902 م بَّلدة فرفار[2] بواحات الزيبان ببسكرة، من أب يدعى خير الدين بن محمد أبي جملين ،وأم هي الحاجة الزهراء بنت المغربي ،وقد اهتم والدهم بتنشئتهم على التربية الدينية ، واقتدى الابن البكر بوالده الذي كان حافظا للقرآن الكريم مواظبا على الصلوات في أوقاتها ،وكان يتلو الأوراد في الصباح والمساء، لذلك فقد حفظ هو أيضا القرآن وواظب على صلواته .

لقد كان والده يؤثر مجالسة العلماء ،فكان يأتي إلى منزلهم مجموعة من الشيوخ والعلماء منهم الشيخ العابد السماتي الجيلإلى، والشيخ الشاعر محمد بن عزوز الخالدي، والشيخ أبو عبد

الله الغمري ،كما كان لوالده صلة بالشيخ المدني بن الشيخ علي بن عمر ،الذي كان يلقي دروسه في شهر رمضان.

يمكن القول أن الشيخ خير الدين كان محظوظا في طفولته نظرا للجو الذي وجده في عائلته ،كما أن والده كان مهتما به وبإخوته على اتباع الطريق الصحيح والتربية الدينية التي لا توجد أحسن منها ،و يبدو أن نهج العلماء والمصلحين بدأ يرتسم في ذهن الابن البكر ،حيث كان يسمع ويرى هؤلاء الشيوخ والعلماء داخل المنزل ، كيف يتناقشون ويتحادثون ، فكان ذلك مهما له في تكوينه.

لقد نشأ محمد خير الدين في أسرة ميزها التعاون و الاحترام المتبادل ، خاصة ما تعلق بالأرض التي عّلمتهم الصبر ،فقد كانوا يملكون أرضا فلاحيه تزخر بنخيلها ومائها وخيراتها، واهتموا بها لأن الأرض هي مصدر مهم للرزق خاصة في الجنوب وهو عنوان الثراء في ذلك الوقت ، وقد مدح الكثير بسكرة فحسب أحد الكتاب[3] فهي عروس الزيبان العربية وعاصمة الصحراء القسنطينة، ويذكر أن بعض أدباءها يقولون إن بسكرة بحذف الباء منها وضم السين وفتح الراء و الكاف المشددة وذلك لحلاوتها وجمال مناظرها وحسن طقسها وعذوبة مائها وكثرت نخيلها وتدفق مياهها وعروبة سكانها ،ويضيف كاتب آخر[4] "إن بسكرة قد عرفها المؤرخون منذ القديم بكثرة العمران ورواج التجارة والفلاحة ،وتربية المواشي وخدمة البساتين وأهم بضائع التجارة فيها هي التمر.

الحق أن الشيخ استفاد في بداية حياته من منزله والده كما أن الفلاحة أدخلته في ميدان التجارة ،وبذلك نمى فيه نشاط كبير استغله في البحث عن العلم والمعرفة ،حيث انتقل إلى قسنطينة لينهل من منابعها ثم سافر إلى تونس ليتتلمذ على كبار علماء جامع الزيتونة ،وقبل أن ينهي تعليمه بتونس بعام أي في سنة 1924 توفي والده،حيث أوكلت له مسؤولية ثقيلة بعد عودته من تونس وإنهاء دراسته ، فوجد نفسه مكان والده لرعاية إخوته خاصة الأخ الأصغر عبد السلام الذي كان عمره عامين لذلك فالاهتمام بشؤون العائلة وشؤون الفلاحة أصبحا أمرين ضروريين ، فيقول الشيخ خير الدين[5] في مذكراته:<< عدت إلى الجزائر في عام 1925 وكان والدي –رحمه الله– قد توفي في أواخر عام 1924 عن عمر لم يتجاوز تسعة وأربعين

عاما فألفيت نفسي أمام وضع جديد كان لزاما علي أن أواجه وأن أتحمل فيه المسؤولية كاملة فقمت بتربية إخوتي وتوجيههم التّوجيه السليم، وحافظت على ما ترك والدنا من ثروة الأملاك الفلاحية والتجارية ،واجتهدت في العمل على تنميتها و تنظيمها معهم>>.

كانت الظروف مضطربة في نهاية العشرينات، حيث وقع صدام بين الشيخ خير الدين وبن قانة شيخ العرب، وقد كانت واحات الزيبان تحت الحكم العسكري ، ونشاط الشيخ في فرفار وضواحيها جعل السلطات الفرنسية وعملاءها يدقون ناقوس الخطر ونظرا للمضايقات و الشكاوي التي كانت تعرقله،انتقل رفقة والدته وإخوته إلى بسكرة سنة 1930 التي كانت تحت الحكم المدني و هناك اشترى دارا و بستانا من النخيل وأعد مركزا للعمل التجاري.

استدعى الشيخ خير الدين عام 1934 هو و إخوته لأداء الخدمة العسكرية وفق القانون الفرنسي في الجنوب، فالذين لا يتجاوز أعمارهم ستة و ثلاثين عاما ، ويقيمون في قطاع خاضع للحكم المدني ومدة الإقامة تتجاوز السنة أو أكثر، فهم ملزمون بالخدمة العسكرية ، ولأن شيخنا قد انتقل إلى بسكرة قادما من واحات الجنوب، وأقام بها أكثر من سنة فقد كان ضمن المجّندين، فاستدعي هو و إخوته الأربعة لكن الشيخ حسب ما ذكره في مذكراته اتصل سرا بالسيد الحاج إسماعيل القسنطيني الكاتب المكلف بالشؤون العربية، والمسؤول عن الوثائق في إدارة الحاكم العسكري ببسكرة ،حيث قدم المساعدة له ولإخوته، وزاد في عمر كل واحد منهم عشرة سنوات ولذلك تخّلصوا من التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي.

الحق أن انتقال الشيخ خير الدين من قرية صغيرة إلى مدينة بسكرة التاريخية هي بداية لمرحلة مهمة في حياته، في المجالين المادي والإصلاحي ، فالأول كان بتعاون جميع إخوته، والثاني كان بمفرده حيث سينضم إلى الحركة الإصلاحية، التي قادها الشيخ الطيب العقبي ببسكرة ، وكان الشيخ خير الدين و أسرته من الذين أيدوه وناصروه[6]. وبالتالي انفتح الباب الإصلاحي أمامه و تبدأ مسيرة جديدة وطويلة في نضاله الوطني.

2.تعليمه و رحلاته:

لقد بدأت رغبة محمد خير الدين في التطلع نحو العلم و المعرفة منذ أن كان طفلا ، فقد ذكرت سابقا أن هناك شيوخا وعلماء كانوا يزورون بيت والده، وكان يسمع ويرى ما يدور

بينهم من حديث ونقاش ،كما أن والده حرص على تعليم أبنائه القرآن الكريم وقراءة المتون العلمية ، وإقامة الصلوات وبذلك فقد تعّلم الابن البكر الكتابة و القراءة، وأتم حفظ القرآن.

وحسب رواية أحد الشيوخ، فمحمد خير الدين و أخوه عبد القادر كانا يذهبان إلى زاوية الشيخ علي بن عمر بطولقة[7]، التي تبعد عن فرفار بحوالي ستة كيلومترات، وذلك قبل الفجر يصليان و يتعلمان فيها الفقه، والنحو ، والفرائض ،وقراءة القرآن على يد الشيخ المدني ، والشيخ الحاج بن علي بن عثمان وغيرهما.

لم يكن في بلدة فرفار من يدرس الطلاب لكن الله يسر الظروف لخير الدين للذهاب بعيدا في طلب العلم و المعرفة الذي هو مفتاح ثقافات الشعوب وتحضرها لذلك كان من الواجب على الشيخ خير الدين أن يسافر و يقوم برحلات بحثا عن العلم ، فقام برحلتين هامتين جعلتا منه فيما بعد قائدا من قادة الإصلاح في الجزائر، فالأولى كانت نحو قسنطينة، و الثانية باتجاه جامع الزيتونة بتونس .

فالرحلة الأولى نحو قسنطينة كانت المحطة الأولى التي أخذ منها محمد خير الدين ينابيع العلم ، والسبب في رحلته هو والده الذي زار قسنطينة في أكتوبر 1916لقضاء بعض شؤونه وتوجه أثناء الصلاة إلى "مسجد الأربعين شريفا"[8]،وصلى به وحضر درس إمامها الشيخ الطاهر بن زقوطة [9]،وبعد الفراغ من الدرس تحدث الوالد مع الإمام هذا الأخير سأله إذا كان أحدهم قد أتم حفظ القرآن فأجابه الوالد بأن الابن الأكبر قد أتمه، فعرض عليه الشيخ الطاهر أن يبعثه إلى قسنطينة ليتعلم، وبالفعل فقد سافر محمد خير الدين إلى قسنطينة ،وعندما وصل اتجه إلى مسجد "الأربعين شريفا" ووضع أغراضه في بيت أعد له[10].

ومدينة قسنطينة كانت بها حركة علمية منقطعة النظير، وكان بها ثلاثة مراكز تعليمية وهي :الجامع الأخضر، ويدرس فيه الشيخ عبد الحميد بن باديس يضم200طالب ، جامع الكتاني يدرس فيه الشيخ أحمد الحبيباتي و يضم حوالي 50طالب ،و مسجد " الأربعين شريفا " يدرس فيه الشيخ الطاهر بن زقوطة ويضم حوالي20 طالبا.

بدأ خير الدين دروسه سنة 1916 على يد أستاذه الشيخ الطاهر الذي يقول عنه الشيخ أحمد الحماني[11]:<< وقد عرفت الشيخ الطاهر خطيب جامع سيدي الكتاني أو صالح باي)

وكان عظيم التحصيل كفؤ في مهنته، يشتغل بتلقين الطلبة الواردين مختلف الفنون الإسلامية و العلوم العربية >>، أما الشيخ خير الدين[12] فيقول في مذكراته :<< تلّقيت الدرس الأول عام 1916 على يد الشيخ الطاهر في علم النحو وتابعت دراستي فقرأت عليه كتاب(الأجرومية) في النحو ، ومنظومة(الرحبية) في الفرائض (الرسالة)لابن أبي زيد القيرواني في الفقه >>.

يمكن القول أ ن خير الدين قد استفاد من العلوم التي تلّقاها على يد شيخه الطاهر في مدة عامين مع ملء فراغه بتلاوة القرآن وحفظ المتون العلمية، كما أّنه تعرف على الكثير من الطلبة والشيوخ واتسع أفقه خاصة في العام الثاني حيث قدم الشيخ الصالح الرحابي الرياحي الدراجي من تونس بعد أن أتم دراسته بجامع الزيتونة فنزوله ضيفا على الشيخ الطاهر جعل التلاميذ يلتّفون حوله و يسألونه بشغف عن كل ما يتعلق بالدراسة في هذا الجامع العظيم [13]، وهنا كان المنعرج الحاسم في حياة الشيخ خير الدين حيث قرر أن يكمل دراسته بالزيتونة .

كان جامع الزيتونة ذا أهمية علمية بالغة، فكانت مقصد الجميع من كل صوب وحدب ويذكر أحد الكتاب[14] أن عدد طلبتها بلغ في العقد الثاني للقرن العشرين عشرة آلاف طالب يكونهم أساتذة بارعون[15] ،وكان الطالب يتخصص في العلوم الشرعية والعربية فيتقنها كما يدرس الكتب العديدة في كل علم فيتقنه أيضا ، وكانت الزيتونة معهدا إعداديا وثانويا وعاليا ، وبعد دراسة سبع سنوات يتحصل الطالب على شهادة التطويع[16] ،وهي أعلى الشهادات في ذلك الوقت ، كما أن الطالب يختار من يعجبه من الأساتذة.

لقد كانت الصحف والمجلات التونسية تنشر نشاط بعض الطلبة فقد نشرت مجلة النهضة تشطير بيتين للزاهري والذي قام به البسكري محمد خير الدين في 26 جانفي 1924م [17]، وبعد أن أكمل خير الدين سبع سنوات من الدراسة أصبح مرشحا للحصول على الشهادة النهائية، وهي شهادة " التطويع" ،وبالتالي كان لزاما عليه أن يقوم بالامتحان ،حيث يشرف على هذا الامتحان مجلس شرعي برئاسة شيخ الإسلام وقاضيين أحدهما حنفي والآخر مالكي كما يحضر أيضا الّناظر العام للجامع والمدرسون وعدد من الطلاب وكان الطالب يجري ثلاث مراحل : كتابية ، شفوية تطبيقية.

والحق أن الطالب خير الدين كانت تغمره رغبة صادقة وحماس دافق، كيف لا وهو الذي قضى سبع سنين كاملة في الكد والجد، فتقدم إلى الامتحان في شهر جوان عام 1925 م فكان موضوع مقالته (القسمة عند فقهاء المالكية) فأجاد في عرضها وتفصيلها، أما موضوع الدرس فكان في مادة النحو وهو شرح بيتين من ألفية ابن مالك استغرق فيها ساعة من الزمن في الشرح مقدما الأدلة العلمية ، وقد أثنى عليه أعضاء اللجنة خاصة الشيخ الطاهر بن عاشور، كما أثنى على كل طلاب العلم الجزائريين ، بعد ثلاثة أيام عّلقت النتائج على جدران الجامع الأعظم ،وتحصل الطالب محمد خير الدين على الرتبة الثانية من بين خمسين طالبا ناجحا.

لقد استفاد الشيخ محمد خير الدين من رحلته إلى تونس، وقبلها إلى قسنطينة حيث حصل على أعلي الشهادات العلمية في ذلك الوقت من الزيتونة ، واستزاد بالعلم و الثقافة العربية الإسلامية من جهة أخرى، ويبدو أن الشيخ خير الدين قد استفاد أمورا أخرى على حسب ما ذكر في مذكراته أشعلت فيه الروح الوطنية، حيث أّنه حضر بعض المظاهرات التي وقعت في تونس ضد الفرنسيين، وهذا ما أثر في تكوينه و هيأه لمجالين هما الإصلاح الديني والإصلاح الوطني فيقول :<< وهكذا استفدت من إقامتي بتونس–زيادة على العلم–بزاد آخر سياسي واجتماعي ثري، ورجعت إلى الجزائر مؤمنا بأن نهضتنا تتحقق بالعمل في المجالين السابقين ، إحياء الدين ،وإذكاء روح النهضة بين المواطنين >>[18].

3.وظائفه و مسؤولياته.

يعتبر الشيخ محمد خير الدين من أبرز قادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فعلمه وعمله وحنكته عوامل جعلته يتقلد عدة وظائف ومسؤوليات خلال مسيرة حياته النضالية، فأيامه كلها كانت تنقلات مستمرة في مختلف مدارس ومساجد أنحاء القطر واجتماعات ومهام قلّ من كان يقوم بها ويتقنها ،وهذا باعتراف أساتذته وزملائه في الجمعية وعلى رأسهم الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس ،وذكر الشيخ خير الدين ذلك في مذكراته فيقول :<<وكان من عادته –رحمه الله – أن يداعبني ويشد من أزري كّلما اشتدت الأزمات بترديد هذه العبارة (قضية ولا أبا حسن لها)>>[19] .

كما الشيخ خير الدين قد مارس عدة وظائف ومسؤوليات وقد استخرجتها من الوثائق والكتب والشهادات ، وبالتالي يمكن تقسيمها إلى ثلاث مجالات ، الأول في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، والثاني خلال الثورة التحريرية وأخيرا بعد الاستقلال .

وفيما يخص جمعية العلماء التي تأسست في 5 ماي 1931 كان لشيخنا دور بارز إلى جانب أقرانه من العلماء ، فهو من المؤسسين الأوائل للجمعية، حيث حضر اجتماع الرواد عام 1928 م[20]، مع الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي والشيخ مبارك الميلي والشيخ الطيب العقبي والشيخ العربي التبسي الشيخ السعيد الزاهري ، وكانت أول مسؤولية كّلفه بها الشيخ عبد الحميد بن باديس هو الوعظ والإرشاد في منطقة فرفار وضواحيها، و منذ تأسيس الجمعية إلى غاية حل نفسها عام 1956 تولى عدة وظائف ومسؤوليات وهي كالآتي :

عين كعضو مستشار في الاجتماع الثاني للجمعية عام 1932عاما لها ،وتولى امتياز جريدة البصائر منذ صدورها في 27 ديسمبر 1935 إلى أن توّقف عند العدد 180 في 25 اوت 1939 ، والجمعية هي التي أوقفتها حتى لا تكون مضطرة لنشر ما يخالف مبادئها وكذلك فعلت بمجلة الشهاب، كما عين كعضو في اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي عام 1936 م.

كما توّلى تسيير جمعية "إعانة الفقراء" ببسكرة إلى جانب الدكتور سعدان[21] ،وعين كاتبا عاما لمدرسة الإخاء للتربية والتعليم ببسكرة عام 1939والإرشاد ،و إذكاء روح النضال وتحرير الناس من الخرافات والدروشة[22] ،وشارك في " البيان الجزائري" في فيفري 1943 إلى جانب فرحات عباس وممثلين آخرين لمختلف الاتجاهات الوطنية ،كما تولى نيابة رئاسة جمعية العلماء في عهدها الثاني من 1946 إلى 1956، إلى جانب الشيخ العربي التبسي، وتولى أيضا نيابة إدارة معهد ابن باديس بقسنطينة الذي تأسس سنة 1947 ترأس لجنة التعليم التي كانت تشرف على المدارس وتنظيم شؤونها .

وتولى منصب "أمين مال الجمعية" بعد وفاة الشيخ مبارك الميلي، ثم اصبح عضوا مؤسسا في جبهة الدفاع عن الحرية و احترامها ،التي تأسست في أوت1951 م ،ومعه الشيخ العربي التبسي ،وقد شاركا باسم جمعية العلماء إلى جانب اتجاهات أخرى[23].

أما بعد الاستقلال فقد مارس الشيخ محمد خير الدين بعض الوظائف والمسؤوليات القليلة نظرا لتقدمه في السن ،كما أنّه أفرغ جلّ جهده في مرحلة الكفاح ضد الاحتلال الفرنسي وهذه الوظائف هي:

عين نائب بأول مجلس وطني جزائري مستقل من 1962 إلى 1964[24]، وشارك في أول مجلس إسلامي أعلى في الجزائر سنة 1966 وعين كعضو[25]، كما عين كرئيس شرفي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي توقفت عن النشاط منذ الاستقلال – لأن سياسة الحزب الواحد منعت أي نشاط آخر– إلى عام[26] 1991 أين اعتمدت رسميا، وبدأت نشاطها سنة 1999و في ذلك الوقت كان الشيخ خير الدين قد التحق بالرفيق الأعلى سنة 1993.

4.وفاته و آثاره.

لقد عاش الشيخ محمد خير الدين واحد وتسعين عاما، فترة كان جزءها الأكبر قد عاشه أثناء الفترة الاستعمارية ،حيث كرس حياته في سبيل الدفاع على مقومات الشخصية الوطنية من لغة ودين في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثم جنديا في الثورة التحريرية ، أما بعد الاستقلال فنشاطه كان محدودا وقليلا نظرا لتقدمه في السن ، ومنذ بداية الثمانينات مال إلى العزلة وقراءة الكتب ، ويقول أحد الكتاب : << ...ثم مال إلى العزلة في منزله معتنيا بالقراءة و التأمل واقتناء الكتب الثمينة والمخطوطات النادرة ، وتم ّ كن من إنشاء مكتبة عظيمة يعتز بها ،ويعمل لإنمائها ،وكثيرا ما كان يستقبل في داره إخوانه القدماء–وهم كثيرون– من علماء وسياسيين ومناضلين وتجار ومحترفين يحمل له الجميع الاحترام والتقدير والثقة ويجدون في حضرته الأنس و الذكريات العطرة>>

توفي الشيخ محمد خير الدين – رحمه الله – يوم الجمعة 26 جمادى الثانية[27]،في الجزائر العاصمة بعد مرض عضال ثم 1414 هـ ، الموافق ل 10 ديسمبر 1993نقل جثمانه إلى بسكرة ودفن في 11 ديسمبر1993 بعد صلاة العصر في روضة أسرته بمقبرة البخاري [28]

،وقد قام بتأبينه الشيخ علي المغربي بكلمة شملت معظم محطات حياته، وشيعت جنازته في موكب عظيم ، وحضر الجنازة ، شخصيات علمية وثقافية بارزة منها محمد الصالح يحياوي ، محمد الشريف مساعديه ، محمود الواعي سليمان الشيخ ، محمد سعيدي وغيرهم[29]،وقد ألقيت قصيدة تأبينيه كتبها الشيخ أحمد سحنون[30]،ونظرا لمرضه فقد أوكل الشيخ محمد الطاهر فضلاء[31].

التحق الشيخ محمد خير الدين بالرفيق الأعلى، وخلف آثارا لكنها ليست بالكثيرة فلم يترك سوى بعض من المقالات التي نشرت في البصائر والشهاب، فهو من ذلك الصنف من رجال الإصلاح الذين كانوا يفضلون إعداد الرجال الأبطال وتهيئة النشء الجديد على تأليف الكتب ونفس الشيء بالنسبة لغالبية رفقاء وتلاميذ الشيخ ابن باديس وذلك بسبب انشغاله بالتعليم وتنقله بين مدارس جمعية العلماء في مختلف أنحاء القطر الجزائري، ومحاربة الطرقيين، و القيام بالوعظ و الإرشاد في المساجد ، أما أثناء الثورة التحريرية، فقد خصص كل وقته للكفاح المسلح من أجل تحرير البلاد ،وبعد الاستقلال، شارك في الحياة السياسية إلا أن مشاركته لم تتعد العقد الثاني نظرا لتقدمه في السن إضافة للمضايقات التي كان يتعرض لها م ما أدى إلى انعزاله نهائيا ،ومن الآثار التي خلفه الشيخ محمد خير الدين ما يأتي:

- خلف مكتبة هائلة زاخرة بشتى أمهات الكتب القديمة والحديثة من كل فن من فنون المعرفة ،وقد قدمها هدية لمكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية(تحتوي على 770 كتابا)، نجد في الديانات (251 كتابا)، في التاريخ (184 كتابا) ،في الآداب (102 كتابا) ،في المعارف العامة(33 كتابا) ،في الفلسفة(25 كتابا) ،في العلوم الاجتماعية(41 كتابا)، اللغات(17 كتابا).
- أصدر مذكراته في جزأين: **الكتاب الأول**: يشتمل على كل نشاطه من صغره حتى قيام الثورة التحريرية صدر عام 1985 م. **الكتاب الثاني** : تحدث عن كل نشاطه من قيام الثورة التحريرية إلى غاية الاستقلال د–ت ، ثم أعادت مؤسسة الضحى طبعهما عام . 2002 له مجموعة من المقالات التي كتبها في جرائد وصحف الجمعية وقد كتب الأغلبية منها في البصائر، و بعضها في الشهاب ، وهي تعالج مختلف المواضيع الدينية والتعليمية .

كما قام بتصدير مجموعة جريدة البصائر من ديسمبر 1935 إلى جانفي 1937 بطلب من الشيخ محمد الحسن فضلاء –أحد تلاميذ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و كان ذلك عام 1984 ،وخلّف مقالا ممتازا بعد الاستقلال في مجلة الثقافة العدد 81 ماي-جوان1984 عنوانه "مناقشات حول خلافة ابن باديس"، ترك أثرا ماديا هو مسجد " السنة[32]" الذي بناه في الثمانينات بمدينة بسكرة .

5.مكانته في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

الشيخ محمد خير الدين رائد من الرواد الأوائل ،وعالم من علمائها المصلحين وأحد أقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،وكان من جيل الرجال العمالقة و على رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس ومعه الشيخ الإبراهيمي ، والشيخ مبارك الميلي والأستاذ أحمد توفيق المدني ،والشاعر محمد العيد آل خليفة و الشيخ العربي التبسي وغيرهم كثيرون ، وهذا يبين ما للجزائر من رجال عمل معظمهم تحت راية الإسلام في نطاق جمعية العلماء ، لقد ترك هؤلاء العظماء على صفحة الجزائر المجاهدة أخاديد عميقة، ورفعوا في سمائها منارات مضيئة[33] .

ومكانة الشيخ خير الدين افتكها منذ السنوات الأولى للعمل الإصلاحي الذي قاده ابن باديس في العشرينيات ، فقد حضر الشيخ خير الدين اجتماع الرواد سنة 1928 م وكّلفه الشيخ إن باديس بالوعظ والإرشاد في "فرفار" وما جاورها من قرى واحات الزيبان[34]، وبذلك يمكن أن يعتبر من الرواد الأوائل الذين و ضعوا الأساس الأول لميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931 م، لكنه لم يكن من أعضاء مجلس الإدارة الأول نظرا لانضمام ممثلي الزوايا و المثقفين أشخاص عاديين ،وابن باديس لم يشأ أن يكون عدد العلماء المصلحين هم الأغلبية كي لا يلفت انتباه الإدارة الفرنسية وحتى أصحاب الزوايا والمرابطين حتى لا يقضي على الحركة في مهدها ، وبالتالي فالتقريب بين جميع الشرائح المثقفة في البلاد[35]، وظهر إسم الشيخ خير الدين في مجلس الإدارة بعد الانشقاق الذي وقع عام 1932 م ،حيث تم إخراج ممثلي الزوايا و المرابطين بعد صراع عنيف قاده ابن باديس وزملاؤه سمح للحركة الباديسية بالانطلاق[36]

إن سنة 1932 م ،لم تكن سنة تسوية الحركة الإصلاحية الباديسية ،لكن كانت أيضا نقطة بداية إرساء جذورها عبر مختلف أنحاء القطر الجزائري ، وأصبح الشيخ خير الدين مراقبا عاما للجمعية[37]، حيث كان يراقب كل نشاطات الجمعية وهي في الحقيقة مهمة صعبة ، كما أن هذه المكانة جعلت الشيخ يتحرك في كل الاتجاهات خدمة لمبادئ الجمعية التي دافعت عن الدين و اللغة و الوطن .

لقد كان الإمام ابن باديس يعتز كثيرا بالشيخ خير الدين ،فأثناء تجديد المجلس الإداري عام 1938 م ،وأثناء التعريف بأعضائها قال:<< وثالثهم الشيخ محمد خير الدين عميد الحركة الإصلاحية في بسكرة وضواحيها و هو–من بين إخوانه– ممتاز بحسن التدبير التجاري والفلاحي، الذي قلّ أن لا يعود عليه بالأرباح لكنه كثيرا ما ترك ذلك في سبيل خدمة الجمعية بذلك التدبير ، وهو مراقب الجمعية العام >> [38]، لم يقتصر هذا على الإمام ابن باديس بل كان أيضا من زملائه في الجمعية فالشيخ الإبراهيمي الرجل الثاني في الجمعية دائما يعتمد على الشيخ خير الدين في حل معظم المشاكل الصعبة، لذلك كان ينشد دائما قوله :"الدين خير كله وأنا أرى من خير هذا الدين <خير الدين> "[39] ،وهناك من تلاميذ الجمعية [40] من يتذكر مواقف ومكانة الشيخ فيقول:<< والذي نعرفه عن الشيخ خير الدين هو الثبات على المبدأ و الشجاعة في قول الحق ،و الحكمة في التصرف ،وقد خدم الجمعية بعمله وعلمه وماله>>.

لقد نال الشيخ خير الدين ثقة كبيرة داخل الجمعية حتى أنهم كانوا يزورونه في بسكرة[41]، مثل الشيخ ابن باديس، الشيخ البشير الإبراهيمي ، العربي التبسي سواء في زيارات رسمية في إطار الجمعية أو زيارات عادية كأشخاص.

ويبدو أن الشيخ خير الدين قد نال ثقة الإمام ابن باديس منذ الزيارات الأولى لبسكرة ففي عام 1931 م، قام وفد العلماء بزيارة إلى الصحراء ،فكانت المحطة الأولى بسكرة ،فقام الشيخ ابن باديس بإلقاء دروس الوعظ و الإرشاد في المسجد، أما الشيخ خير الدين فإنه لم يدخل المسجد بل لازم الوقوف خارجه يراقب الموقف، ويعمل على تمكين المسلمين من سماع درس الإمام[42]، لقد كان الشيخ خير الدين داهية فهو يحسن التدبير لذلك فقد كّلفه الإمام ابن

باديس في أواخر سنة 1934 م، بالتوجه نحو ورقلة نظرا للمشاكل التي تعانيها شعبة الجمعية هناك والعودة بتقرير مفصل، لكن الشيخ ذّكره بالقرار الذي يقضي بمنع أعضاء جمعية العلماء من الدخول إلى الصحراء ،لكن الإمام أصر على ذهابه ،ويذكر الشيخ محمد خير الدين ذلك في مذكراته فيقول:<< قلت له: إّنك تعلم بالقرار الذي أصدره الوالي العام في الجزائر منذ سنة الذي يقضي بمنع أعضاء جمعية العلماء من الدخول إلى الصحراء، فأجابني :يجب أن تصل إلى عين المكان، ودعهم يردونك تحت الحراسة مقيدا بالأغلال>>[43]، وبالفعل فقد وصل إلى ورقلة واستطاع أن يراوغ العساكر ،كونه جاء لزيارة صديقه(الأب جوزيف) فسمح له بالدخول و اتصل برئيس الشعبة ودرس مع الوضع وفي اليوم الموالي عاد إلى قسنطينة وحمل تقريرا مفصلا إلى الإمام ابن باديس[44].

لقد كان الاستعمار الفرنسي و عملاؤه يتتبعون ما يقوم به الشيخ خير الدين وكانوا يعرفون أنه أحد أعمدة الحركة الإصلاحية في الجنوب ، وللحد من نشاطه وعرقلته صدر أمر من عامل العمالة يقضي بنفيه، وأبلغه عميد الشرطة ببسكرة بذلك ووضعه تحت الإقامة الجبرية "بمجانة" في دائرة برج بوعريريج، ويقضي بها شهرين ليطلق سراحه بعد استجوابه وتأكيده على انه يقوم بأعمال تربوية دينية لا علاقة لها بالسياسة أو بتهديد فرنسا[45].

رغم ما تعرض له الشيخ خير الدين من مضايقات ونفي إلا أنه واصل المسيرة وزاد إصراره على أداء رسالة الجمعية ،لذلك فقد استدعاه الإمام ابن باديس كعادته في صيف 1937 م ،بعد الاضطراب والتصدع الذي وقع للحركة في العاصمة وضواحيها فقد أغلق نادي الترقي ، ونادي بلكور بالعاصمة، كما تم غلق نادي شرشال في البليدة وشّلت حركة النوادي الأخرى في منطقة الوسط ،كما أن الشيخ الطيب العقبي كثر عليه الضغط و التضييق ،خاصة من شبيبة (حزب الشعب)، ويبدو أن السلطة الفرنسية قامت بغلق النوادي ورصد كل التحركات نظرا للاضطرابات التي كانت تسود أوربا بسبب استفحال الخطر النازي الألماني ، واقتراب موعد الحرب العالمية الثانية، لذلك تخوفت فرنسا من وقوع تمرد أو عصيان داخلي قد يشكل خطرا عليها لقد كان الشيخ خير الدين أمام الأمر الواقع لذلك أقام بالعاصمة ثلاثة اشهر، عمل رفقة الشيخان حمزة بوكوشة والشيخ فرحات بن الدراجي على تجديد نشاط الشعب

والفروع، مع إجراء جولات في أنحاء عمالة الجزائر، وتم تنظيم العمل بالنوادي، وكان الشيخ يلقى دروسا فقهية يوميا بنادي الترّقي ،كما أنه يتنقل إلى نوادي بلكور وشرشال و البليدة، وسارت الحركة الإصلاحية بشكل طبيعي بعيدا عن الصراع.

لقد استطاع الشيخ خير الدين أن يؤدي دوره الإصلاحي على أحسن وجه والثقة التي وضعها فيه الشيخ البشير الإبراهيمي كانت محل تقدير واعتزاز ، حتى أن الإدارة الفرنسية كانت تخشاه ، فوضعته في خانة النشطاء داخل الجمعية ومن الذين يمكنهم أن يتزعموا الجمعية ،فبعد وفاة الإمام ابن باديس عام 1940 م، حاولت الإدارة الفرنسية أن تتدخل في اختيار خليفة للإمام ،واقترحت الشيخ الطيب العقبي كرئيس للجمعية واغتنمت فرصة نفي الإبراهيمي ،كما أنها كانت تتوقع أن يتولى مهام الجمعية الرجال المقربون كالشيخ العربي التبسي، والشيخ مبارك الميلي، أويتولاها عضوان هما الشيخ محمد خير الدين وبوشمال[46] ،وتم الاتفاق داخل الجمعية على تعيين الشيخ البشير الإبراهيمي حتى وهو في المنفى باعتباره نائبا للرئيس.

يمكن القول إن أعداء الجمعية كانوا دائما يحاولون اختراع الأكاذيب وابتداع المشاكل ،للنيل من الجمعية ورجالها، وإلا كيف نفسر هجومهم العنيف على الشيخ خير الدين الذي كان دائما حاضرا في سبيل خدمة الجمعية، فما من مشكلة إلا وكان حاضرا ويترك لأجلها عائلته وأهله ويسافر مباشرة إلى المهام التي ذكرناها سابقا، وعودته دائما تكون مرفوقة بالحلول.

لقد كان داهية كما يقول أحد تلامذة الجمعية:<< الشيخ محمد خير الدين همزة وصل بين الأحزاب السياسية والصحافة ،تحتاجه دائما جمعية العلماء، لقد كان داهية>>.

إن الحنكة الدبلوماسية التي اكتسبها الشيخ خير الدين كان مصدرها تنقلاته المستمرة في أنحاء القطر في إطار جمعية العلماء، والصدامات المستمرة مع الإدارة الفرنسية، كما أنّه كلف بمهمة في غاية الأهمية عام 1952 م.

أثناء الاجتماع الذي عقدته جبهة ميثاق اتحاد حزب الشمال الإفريقي بباريس حيث شاركت فيه أحزاب مختلفة من تونس والمغرب وشارك من الجزائر حزب البيان الجزائري وحزب انتصار الحريات الديمقراطية ،اما العلماء كان على رأسهم الرئيس الشيخ البشير الإبراهيمي الذي كان فيالحقيقة هو الداعي إلى عقد هذا الميثاق ، وخرج المؤتمرون بوثيقة سلمت إلى

السيد تريفيلي الكاتب العام لجمعية الأمم ،و قام ال ّ شيخ خير الدين الشيخ العباس بتسليمها نيابة عن وفد أحزاب شمال إفريقيا يمكن القول إن الشيخ خير الدين تبوأ مكانة هامة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وجعلته يتحرك في كل الاتجاهات خدمة للجمعية، ودفاعا عن الدين ،واللغة الوطن.

6-فكره الاصلاحي:

يرتبط مفهوم الإصلاح بالحركة الإصلاحية التي ظهرت في الجزائر وتزعمتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأثرت بتيار الجامعة الإسلامية الذي كان وراءه رجال عظماء، كجمال الدين الأفغاني ،ومحمد عبده ،ومحمد رشيد رضا، الذين دعوا إلى التمسك بتعاليم الدين الإسلامي الصحيح ومحاربة البدع والخرافات وكل ما يخالف كتاب الله، وسنة رسوله.

ان الإصلاح الذي قامت به جمعية العلماء هو في الحقيقة من وضع الإمام عبد الحميد بن باديس وهذا الإصلاح ينطلق من آلام وآمال الشعب الجزائري ،ويقول في ذلك الدكتور عبد الكريم بوصفصاف[47]:<< والحق أن بن باديس لم يفصل في حركته بين النظرية والتطبيق، أو بعبارة أدق لم يفرق بين العقيدة و العمل ،وقد بدأ الإصلاح سهلا هينا جعل المستعمر يظن أن لا خطر فيه ،ذلك أنّه بدأ يتكلم عن الدين و الأخلاق والعقيدة وضرورة الإصلاح الديني، والنصيحة من أجل الآخرين والشورى عند الملمات استعداد المرحلة الجهاد والكفاح، أي أنه وضع البذرة وتعهد النبتة>>.

ومن هنا يمكن أن نتحدث عن الإصلاح عند الشيخ خير الدين باعتباره أحد زملاء وأتباع الإمام بن باديس ،وقائد من قادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكما ذكرنا سابقا العمل الإصلاحي بدأه ابن باديس ثم التحق به الشيخ خير الدين كما التحق قبله الشيخ الإبراهيمي ،والطيب العقبي وغيرهما، ويقول عنه أحد زملائه " الفكر الإصلاحي عند الشيخ خير الدين هو فكر بن باديس وفكر الإبراهيمي ومبارك الميلي والعربي التبسي ،شعاره في ذلك لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها وفي صفاء العقيدة لا تشوبها البدع والضلالات."[48]

والشيخ خير الدين قد أعطى تعريفا شاملا للجمعية سنة 1935 م بقوله:<< وأصول هذه المبادئ هي: إحياء الإسلام الصحيح بإحياء الكتاب و السنة ونشرهما بين الناس حتى يرجع لهما سلطانهما على نفوس المسلمين ،ونشر فضائلها وآدابها ، وإحياء اللغة العربية وآدابها ، وإحياء التاريخ الإسلامي ،ورجاله الغر الميامين>>[49]،كما أنّه عرف الإصلاح يقوله : <<إن الإصلاح الحقيقي الثابت الأركان المتين الدعائم هو ما تبنيه شبيبتنا المتعّلمة على أساس العلم ،ولا نفرح ببلوغ هذه الغاية حتى نؤمن بصدق تو جه الشبان إليها تو جها جديا صحيحا>>.[50]

يمكن القول أن الإصلاح عند الشيخ خير الدين لا يختلف عن الإصلاح عند باقي القادة المصلحين ،فهي عمليات متواصلة فهو يركز على إصلاح النفس بإتباع الدين الصحيح بالكتاب و السنة، كما أنه يركز على إصلاح المجتمع بنشر الفضائل والآداب ويركز أيضا على النشء أو الشباب بضرورة تعّلمهم ومعرفتهم للغتهم وإحياء تاريخهم وأمجادهم، لقد كتب الشيخ خير الدين مجموعة من المقالات في البصائر والشهاب ،عالج في اغلبها قضية التعليم ومنه ما هو موجه نحو الزوايا، ففي أول مقال كتبه سنة 1927 في جريدة الشهاب بعنوان"نهضة الجزائر الدينية أو موقف المصلحين إزاء خصومهم " ،تحدث الشيخ عن الإصلاح بحماس كبير وحث على إتباع الأمة لدينها والنهوض به والابتعاد عن الباطل والخرافات و يجب على الأمة ان تساعد المصلحين ،و هاجم أولئك الذين يعرقلون الإصلاح ويقفون ضده ،واتهمهم بأنهم يخافون على مناصبهم ومكانتهم في حالة ما إذا واجهوا العلماء المصلحين لأنهم أنصار الباطل ودعاة التضليل ،ويبين أهمية الإصلاح الديني بقوله[51]:<< ذلك هو الأمر الجلل الحامل لعلماء الإصلاح على الاصداع بكلمة الحق وإن كانت مرة المذاق وهو الباعث الأصلي لهم عن التجاهر بقضية الإصلاح الديني إذ هو الركن الأعظم الذي عليه مدار حياتنا معشر المسلمين>>[52].

وكانت كتاباته تهاجم الطرقيين والمناوئين للجمعية وتدعو إلى القضاء على البدع والأباطيل والشعوذة و محاربة المرابطين ، الذين كان دورهم سلبيا فحياتهم التعليمية والدينية في الزوايا كانت جامدة تدور في دوامة فارغة حيث أنّها لم تتغلغل داخل المجتمع ولم تفتح له الطريق

ليتعّلم الأساليب التي يدافع بها عن دينه ولغته، بل بالعكس كان أصحاب الزوايا هم الذين ينتظرون من يأتي إليهم ليتعلم التخاذل والجمود ويستسلم لواقعه ،ويقول الشيخ خير الدين[53] في ذلك:<<وأوضح برهان على ضرر الطرقية وأثرها الفعال في موت الشعوب أنها ما انتشرت في بلد إلا كان عنوان الجمود والتأخر والانحطاط وكان أكلة سائغة للآكلين و ما قّلت في بلد إلا كان أقرب إلى النهوض والسعادة ،ودونك تاريخ الأمم و الشعوب تجد ما قلته لك صحيحا >> .

لقد كان الشيخ خير الدين ير ّ كز على المدارس و المساجد في إصلاح المجتمع ،بالخطب التي كان يلقيها والاجتماعات التي كان يجريها و المدارس التي كان يبنيها في مختلف أنحاء القطر في إطار جمعية العلماء ،كما أّنه كان يقوم بتوعية الجزائريين بحقوقهم الوطنية والسياسية، واستلهم كل هذا بمشاركته في المؤتمر الإسلامي سنة1936 ،وفي بيان الشعب الجزائري سنة 1943 م، كما أسس إلى جانب شخصيات سياسية جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها سنة 1951 م، وقد احتوت هذه اللقاءات والمؤتمرات كل الاتجاهات السياسية رغم أن العلماء أكدوا في مبادئ الجمعية أنها غير معنية بالسياسة وليس معنى ذلك أنها غير مهتمة بالسياسة فيقول الدكتور أبو القاسم سعد الله[54] في هذا الصدد:<< و الإصلاح بالمعنى الشامل قد يبدأ بالثقافة أو بالدين أو بالمجتمع ولكنه في نهاية الأمر يغطي كل مظاهر الحياة في مجتمع ما بما في ذلك السياسة ...فالإسلام كما هو معروف دين ودولة، ولا يمكن أن نتحدث عن الإصلاح في الإسلام مجردا من معنى الدولة وهذا حتما هو عين السياسة>>.

لقد كان الشيخ خير الدين مؤمنا بالعمل الإصلاحي الديني والوطني ،وبرز تحركه جليا في النشاط الوطني السياسي رغم أن الجمعية لم تعلن صراحة اهتمامها بالسياسة حتى أن معظم رجالها التزموا بذلك ،وهذا ما جعل من الشيخ رجل دين وسياسة ،ويقول في مذكراته[55] :<< تبلورت فكرة الحرية والاستقلال في حرية الإصلاح الديني، والحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية و السير بالنهضة الإصلاحية خطوة خطوة حتى بلوغ الغاية المنشودة ،و تبّنى هذا الاتجاه رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة الإمام ابن باديس>>.

ما يمكن أن نقوله هو أن الشيخ خير الدين ناضل كباقي العلماء للمحافظة على الدين واللغة وكان من اللازم أن يدافع سياسيا عن ثقافته وشخصيته الجزائرية ،ومما يؤيد رأينا ما قاله أبو القاسم سعد الله[56]:<< فعبارة العلماء تعني أولئك الجزائريين المثقفين الذين بالرغم من تعليمهم العربي وتوجيههم الإسلامي أصبحوا هادفين بشكل واضح سياسيا وطنيا، وهذا التحول من وجهة نظر دينية محضة إلى التدخل السياسي قد حّتمته سياسية فرنسا نحو الثقافة و الشخصية الجزائرية>>

الخاتمة:

لقد اتضح لي من خلال هذا العمل العلمي المتواضع أن شخصية هذا العالم المصلح من الشخصيات الّثرية بأعمالها وجهودها الإصلاحية نظرا لمستواها العلمي والفكري وإيمانها الراسخ بالحفاظ على المقومات الشخصية للأمة الجزائرية خاصة مع الوجود الاستعماري الذي لا يعترف بأي شيء وطني لذلك فقد كرس كل وقته وماله
وجهده دفاعا عن دينه، ولغته، ووطنه.

وساهمت جهود الشيخ محمد خير الدين في المجال الإصلاحي بشكل فعال في خدمة مسيرة الحركة النضالية خاصة أثناء الفترة الاستعمارية حيث قدم كلّ إمكانياته في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خدمة لوطنه وتوجت مع جهود بقية أبناء وطنه بطرد المحتل نهائيا، واستمر نضاله حتى بعد الاستقلال.

الهوامش:

---

[1] خير الدين محمد، مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ج 1، ط 2، مؤسسة الضحى، الجزائر 2002، ص 60

[2] فرفار :إحدى قرى واحة طولقة على بعد ثلاثين ميلا جنوب غربي مدينة بسكرة والفرفار : تعني الكثير الكلام أي الثرثار ، والفرفار الذي يفرفر كل شيء أي يكسره ، أنظر ابن منظور ،لسان العرب المحيط. ،المجلد 2 ،ص 1071

[3] حسن وارزقي ،"جلال الصحراء وجمال النخيل في بسكرة و الزيبان العربية بعمالة قسنطينة"، جريدة النجاح، العدد 31 ،3874جانفي 1951.

[4] جريدة البصائر، مقال "حديث المتجول في دورته الثانية"، العدد 20 ،14 جانفي 1939 م، ص 06

[5] محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة ،ج 2،ط 1، المطبعة العربية . الجزائر، 1981 ،ص 109

[6] كان ببلدة طولقة دار للقرآن الكريم والعلم الشريف والأدب الإسلامي دار سيدي علي بن عمر وهي من ديار الرحمانية الخلوتية، ولا تزال عامرة بطلبة القرآن الكريم ودروس الفقه والتوحيد واللغة العربية والأدب الإسلامي، ولا تزال محافظة على النظام القديم الذي كان عليه الأسلاف ،وكان بها من كبار العلماء من تزال آثارهم العلمية باقية، ومنهم الشيخ الحاج بن علي بن عثمان الذي أسس بالزاوية المذكورة مكتبة علمية عظيمة الشأن وجلب أليها أنفس الكتب القديمة الحديثة وهي مكتبة لا تقدر بقيمة في هذا العصر ،أنظر : حسن وارزقي "جلال الصحراء وجمال النخيل في مدينة بسكرة والزيبان العربية بعمالة قسنطينة". جريدة النجاح ،العدد31 ، جانفي 1951 م.ص8

[7] جامع الأربعين شريفا ،هو المعروف اليوم بهذا الاسم في نهج الأربعين شريفا (نهج الشيخ إبن باديس) وقد أدخل الفرنسيون عليه تغييرات و أضافوا إليه مكاتب المحكمة الشرعية الإسلامية بعد نقلها من جامع سيدي محمد بن ميمون ...،أنظر محمد المهدي بن علي شغيب ، أم الحواضر في الماضي و الحاضر ،تاريخ مدينة. قسنطينة ،مطبعة البعث ، 1980 ،ص 24

[8] الطاهر بن زقوطة ، من مشاهير علماء قسنطينة كان إماما خطيبا و مدرسا بمسجد سيدي الكتاني بسوق العصر ، ولبث في الإمامة والتدريس مدة طويلة و كانت و فاته بقسنطينة في 11 نوفمبر 1948 .أنظر بن علي شغيب (محمد المهدي):أم الحواضر في الماضي و الحاضر، تاريخ مدينة قسنطينة، مطبعة البعث، 1980 م.،ص 317

[9] . محمد خير الدين ، المصدر السابق ،ص ص 62 .63

[10] المصدر نفسه ،ص 63

[11] أحمد حماني، أحمد):صراع بين السنة والبدعة،ج 2، دار البعث، قسنطينة، الجزائر1984، ص 279

[12] محمد خير الدين، المصدر السابق ، ص 64

[13] المصدر السابق ، ص 65

[14] منهم الشيخ محمد بن يوسف ، والشيخ الطاهر بن عاشور ، والشيخ بلحسن النجار ، والشيخ الصادق النيفر و الشيخ البشير النيفر و الشيخ محمد النخلي وغيرهم ، انظر محمد علي دبوز : أعلام الإصلاح في الجزائر 1975 ، ج 1 ،ط 1 ، مطبعة البعث، 1974 ، ص57

[15] كان تلاميذ الزيتونة يقضون من خمس إلى سبع سنين عادة من أجل الحصول على شهادة كانت باسم "التطويع" ثم أعطيت إسم "التحصيل" وذلك باتفاق أعضاء لجنة الإصلاح التعليمي الزيتوني في جلستها ليوم19 نوفمبر 1924 ، وقد سماها قانون الاصلاح لعام 1933 رسميا بهذا الاسم فعلا غير أن التلاميذ لم يبد أو بالتقدم لامتحان هذه الشهادة باسمها الجديد إلا سنة 1936 ، ومعنى شهادة التطويع أنها تخول لحاملها التدريس تطوعا بجامع الزيتونة مع إجراء امتحان .

أنظر علي الزيدي ،"الوضع العام بالتعليم الزيتوني حتى إصلاح تونس، 24جوان 1984 م، المجلة المغربية التاريخية ، عدد34، 1951،ص105

[16] محمد الصالح الجابري ،النشاط العلمي و الفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900 ، العربية للكتاب ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1983 م، ص 366

[17] اسعد هلال، الشيخ محمد خير الدين و جهوده الاصلاحية في الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة منتوري،قنطينة،2005-2006،ص62

[18] -المرجع نفسه،ص63

[19] محمد خير الدين ، المصدر السابق ،ص 68

[20] المصدر نفسه، ص 70

[21] تم تجديد المجلس بعد مشاكل خطيرة أدت إلى طرد رجال الزوايا و المرابطين من الجمعية و من هنا بدأت)الانطلاقة الحقيقية للجمعية –أنظر عمار طالبي: كتاب آثار ابن باديس،ج 1،ط 1، دار النهضة العربية، بيروت،1968 ،ص ص20-22

[22] عمارهلال، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصر 1830 -1962،ديوان المطبوعات، الجامعية،الجزائر، 1995 ،ص 273

[23] من أهم الأمور التي قررتها جمعية العلماء منذ تأسيسها و نفذتها بالفعل إيفاء و فود من شيوخ إدارتها يتجولون في بلدان القطر في ظرف كل سنة لتعريف الأمة بالجمعية .

أنظر فرحات بن دراجي،"وفود جمعية العلماء في القطر"، جريدة البصائر ، العدد 18، 35 سبتمبر 1936 ،ص8

[24] كان نائب المدير فعندما يذهب الشيخ العربي التبسي إلى تبسة لأنه كان متعودا على الذهاب إلى مسقط رأسه، فينوبه الشيخ خير الدين، و كان متمكنا من إدارة المعهد، اسعد هلال ،المرجع نفسه،ص66

[25] اسعد هلال ،المرجع نفسه،ص66

[26] محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر ،ج 2، مطبعة هومة للنشر و التوزيع ، الجزائر، 2000 ،ص 10

[27] إبراهيم بيوض بن عمر ، أعمالي في الثورة ، نشر جمعية التراث ، الزيتونة للإعلام و النشر ، باتنة ، الجزائر، 1990 ،ص45

[28] اسعد هلال ،المرجع نفسه،ص67

[29] بشير كاشة الفرحي ، الشيخ أحمد الحماني ، العالم المجاهد المجتهد، دار الآفاق ، الجزائر، 2004 ،ص78

[30] أحمد حماني ، المصدر السابق،ص 384

[31] أحمد سحنون ، "تأبين شيخي العظيم الإمام محمد خير الدين" ،مجلة الموافقات، العدد 03 ، الجزائر، جوان 1994 ،ص 381

[32] أحمد سحنون، المرجع السابق ،صَ 382

[33] اسعد هلال ،المرجع نفسه،ص69

[34] نفس المرجع،ص70

[35] محمد خير الدين ، المصدر السابق ،ص 71

[36] عبد الحميد ابن باديس ،"جمعية العلماء المسلمين في عامها الثاني "،مجلة الشهاب،مج 8، ج 8 ،أوت 1936 م ،ص400

[37] لقد كانت كل الرسائل الموجهة من مختلف الشعب ترسل إلى الشيخ محمد خير الدين المراقب العام للجمعية– أنظرعبد الكريم بو صفصاف ،جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى ، المرجع السابق،ص ص 405- 426

[38] محمد خير الدين ، المصدر السابق ،ص 294 .

[39] محمد خير الدين،المصدر نفسه، ص 231 .

أنظر أيضا خير الدين الزركلي، الأعلام، ءج 6،ط 7، دار العلم للملايين ،. بيروت، 1986 ، ص54

[40] اسعد هلال ،المرجع السابق ص78

[41] المرجع نفسه،ص79

[42] محمد الأخضر السائحي ، محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب ،ط 2،دار هومه للطباعة و النشر. بوزريعة، الجزائر: 2001 م،ص123

[43] اسعد هلال ،المرجع نفسه،ص80

[44])أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1988 م.،ص 90

[45] مصطفى الأشرف، الجزائر الامة و المجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى ، المؤسسة الوطنية ، للكتاب، الجزائر، 1983 ،ص243

[46] عبد الكريم بو صفصاف،الأبعاد الثقافية و الاجتماعية و السياسية في حركتي محمد عبده وعبد الحميد بن باديس، دراسة فكرية تاريخية مقارنة، ج 1،أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث و المعاصر، غير منشور1997 ،ص 229

[47] اسعد هلال ،المرجع السابق،ص85

[48] البشير الإبراهيمي ،سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام، نادي الترقي، الجزائر ،دار الكتب، الجزائر، 1982 ،ص،176

[49] محمد بن خير الدين ،" نهضة الجزائر الدينية ، أو موقف المصلحين إزاء خصومهم "جريدة الشهاب ، العدد 103 ، 30 جوان 1927 ، ص 2

[50] محمد خير الدين ،" التعليم العربي الإسلامي بالجزائر–محاولة القضاء عليه"،جريدة البصائر ،العدد 27 ،115 ماي ، 1938 ،ص2

[51] محمد خير الدين ، "للحقيقة و التاريخ في الزوايا"، جريدة البصائر ، العدد 29 ،124 جويلية 1938 ،ص 02

[52] اسعد هلال ،المرجع السابق،ص87

[53] نفسه،ص88

[54] محمد خير الدين ، مذكرات ، ج 1 ،المصدر السابق ،ص 68

[55] اسعد هلال ،المرجع السابق،ص89

[56] عبد الكريم بو صفصاف، الأبعاد الثقافية و الاجتماعية و السياسية في حركتي محمد عبده و عبد الحميد بن). باديس(دراسة فكرية تاريخية مقارنة) ، المرجع السابق، ص229